تجربة الفنان التشكيلي العراقي هيمت محمد علي انفتاح على رموز الأرض والانسان

أسلوب ناضج المعنى ومحتوى ملوّن المجاز

لوحاته بديعة في شرقية حضورها وأسلوبها المختمر وإشراقها الذي يحاول تفتيت تداخل المشاعر المتراكم والذكريات الكثيفة والاستيعاب المنطلق للحياة بكل تفاصيلها، هو الفنان التشكيلي العراقي هيمت محمد علي الذي يعتبر من أبرز التشكيلين الذين تمكنوا ببساطة الحضور وتقمص اللوحة أن يحققوا التميز الفني العالمي بالفكرة والمحتوى والأسلوب.

ولد الفنان هيمت محمد علي سنة 1960 في كركوك العراق وقد حمله شغفه الإنساني المتأثر بالصور والرسم إلى الفن حيث لم يتلق فيه دراسة أكاديمية بل حمله بشغفه الطفولي ورغبته الناضجة من خلال الممارسة والتعلم والابتكار والخبرة والإصغاء وتتبع كل منافذ الجمال التي تحاكي الابداع الإنساني في التعبير خاصة بتأثره بالفنان التشكيلي شاكر حسن آل سعيد الذي استلهم منه رؤيته واستفاد من تشجيعه ليستمر بثقة.

ورغم صعوبات ظروفه وتواتر الأحداث والعثرات استمر بذلك الشغف الذي كان يكبر ويتسع كلما أتقن وتعلم وأدرك قيمة التنوع وأهمية الانفتاح الثقافي والتمازج بين المعرفة والفن التي تفتح الأفق وتوسّع المسارات والمنافذ، وقد ألّف هيمت كتابا عنوانه "تمائم العزلة" تحدّث بالرسم والتشكيل والقصيدة والشعر عن تجربته التي ضمّت كل هواجسه الفنية ورحلة تأثره باللون والكلمة بالشكل ومجازه بالحنين وترفه المتفاعل مع الأرض، ومن خلال هذا الكتاب عبّر عن المراحل التي صقلت تجربته وتأثره بالفنون وعشقه للشعر والكلمة وصور المجاز وخيالات اللغة التي تتناثر بإبداع حسي في القصائد فقد تأثر بالشاعر الفرنسي بميشيل بوتور والمغربي محمد بنيس والبحريني قاسم حداد والعراقي سعدي يوسف كما تأثر بالشاعر الياباني كوتارو جنازومي الذي عكس الحضارة والطبيعة اليابانية والزهور والحياة في طقوسها على مخيلة هيمت ما قاده إلى ابتكار تجربة جديدة في رسم وتشكيل تلك الزهور وترتيبها بفنية الفكرة الباحثة عن الحياة في تفاصيل الأمل ،حين زرع تلك المقاطع في ذاكرته وربطها بكركوك والعراق في البيئة والحضارة واستلهم منها أعماله بروح شرقية.

في تشكيل أعماله لم يكتف هيمت في أسلوبه بنقل الصور ولا بتفتيت المشهد والبحث في ماورائياته البصرية، بل اكتسب حسا شعريا وأدبيا جعله يمسك بالحرف في مجازات المعاني ويتأثر به ويحوّله إلى لغة بصرية خارقة فقد تنقّل فطريا بين المدارس وعبر من التأثيرية إلى التجريد واخترقها إلى أسلوبه الخاص الذي يمزج طاقة التعبير الإنساني مع مزاجه وانفعاله وفلسفته التي مزجها بتنقلاته وبتشبعه بالحضارات التي نهل منها واستفاد من كتابتها سواء في العراق لبنان أو اليابان وفرنسا، فهو يرى في الفن شغف العمق في تلاوين الذات الإنسانية التي تمكنه من الغوص في عمق الأشياء فيدرك تفاعلاتها وتعابيرها وروحها المتحررة نحو فضاءات أرحب.

وتجربة هيمت لم تقتصر على المحاكاة الفردية في الفعل الشكيلي فقد كانت له مشاركات فنية عالمية وقدّم عدة أعمال حملت موقفا إنسانيا وعبّرت عن قضايا الانسان ورغبته في التحرر والانعتاق في الحياة بكرامة وبحرية، فقد شارك في سيمبوزيوم معتقل الخيام الذي أقيم في لبنان وقدّم عملا (مقتنيات متحف فرحات) مميزا كتبت له النجاة مع قرابة 100 عمل فني آخر من العدوان الإسرائيلي على لبنان سنة 2006 ليكون شاهدا على المكان وعلى الفعل الإنساني الإبداعي الذي يقهر الظلم والظلام.

في هذا العمل ركّز هيمت على الطبيعة والأرض وعلى الحياة، فقد صاغ بطريقته التي تبحث عن السكينة والسلام هموم الأسر والاعتقال وصاغها بحكمة تتبصر في أركان وزوايا المكان وتبحث عن رموز الحياة والبقاء والثبات والحق لتعكس من خلال الألوان احتدام

المشاعر واضطرام الموقف المندفع في المقاومة من أجل الكرامة، وفي اللوحة تطغى الألوان الحارة وتتراكم الأشكال فوق الخربشات الحرفية المقصودة المعنى رغم فوضى الحروف التي تحيل على الفكرة والتي تسطع بأمل يثبّت الموقف المنفعل والمتراقص بين الثنايا في تناغم الإنسانية وعمق حضورها وفي رفض الوحشية وعبث تدميرها.

يعتبر هيمت أن أعماله تحمل حس الطرافة والغرابة التي تخرجها عن المألوف فهو يحب البحث والمزج بين الصورة الخيالية للشعر والأسطورة والطبيعة التي تعكس في النص الشعري وبين خيال ألوانه فهو يوظف الكثير من النصوص الشعرية في أعماله وجدارياته ويوافق بين الحرف والموسيقى واللون والشكل في تقاسيم فنية تداعب روحه وطفولته وقسوة ذكرياته وحنينه لطفولة ذاكرته، لذلك تمكن من النفاذ إلى بؤر الانسجام بين العاطفة والروح والفكرة وبين الفعل والخيال والتذكر بطلاقة وتحرر فالفن في نظره حالة داخلية تتفجر من العمق نحو السطح وفق التعبير المعنوي للفنان نفسه بالعلامات الفنية والتوازنات النفسية.

في أعمال هيمت يتوحد عنصرا الانسان والطبيعة فقد حرص على أن يبدأ من الانسان الى الطبيعة وهو ما يحيل على الانفتاح والشساعة فالأرض والبيئة يؤكدان على حضور الانسان بكيانه المتكامل.

في جدليات البعث التي يقيم عليها لوحاته يتكئ هيمت على عناصر بصرية متنوعة تحيل على الفضاء المتخيل والمستلهم من الطبيعة وبساطة المعنى في القصائد المختارة حيث ينوعها مع الإيقاعات وتلامس الفكرة المبتكرة فهو يعايش حالات الطبيعة مع جمالياتها بمواسمها وحضورها بتنقلاتها واختلافاتها ليطرح شجونه في توليفات بصرية يحيكها ببساطة فهو يراود المعنى في كل حرف يطرق باب مخيلته وينتزعه من أطر القصيدة ليفتح من خلاله منافذ الفضاء التي تولّد له أفكارا جديدة.

لهيمت أسلوب يجيد استظهار الأضواء من ظلال الألوان من خلال تلاعب تقني بين الدرجات اللونية التي يكثفها على العلامات ويتدخل في حضورها وفق المجاز الحرفي والحضور البصري لتبدو مشعة وخافتة منطلقة بتحكم داخلي في عناصر اللوحة دون أن تنفصل عنها لتكون حاشدة بالتجاذبات البصرية في صداماتها وتحولاتها في معانقاتها ونفورها في تناغمات اللون وفي احتداماتها وفي هندسة بارعة التشكيل والتشكل الذي يلامس الرموز بفتنة الطرح حيث يعانق الطبيعة ويداعب العاطفة ويغري المتلقي بدقة ترتيبها ونفسها الشاعري.

*الأعمال المرفقة:

مجموعة متحف فرحات الفن من أجل الإنسانية

Farhat Art Museum Collection